

عبق الحرية والسلام يحف سماء الآداب العالمية

Fragrance of Liberty and peace encompassed sky of Universal literature
Fragrance De liberté et de Paix cerne le ciel de la littérature universelle

سميرة بوقرة: أستاذة محاضرة – ب-

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة باجي مختار-عناية-

البريد الإلكتروني: s.bouguerra01@gm

تاريخ النشر: 2019/12/12

تاريخ القبول: 2019/09/30

تاريخ الإرسال: 2018/10/27

ملخص:

يضيف الإحساس بالعيش في حرية وسلام شعورا سعيدا على حياة الإنسان، غير أن هذا الحق غيب في ظل عالم شحّت لحظات أمانه. سنحاول في دراستنا عرض بعض روائع الأدب العالمي الحديث (شعرا- نثرا) التي تغنت بعبق الحرية والأمان، السلام والاطمئنان، هذه التي طربت وانتعشت بوجودها روح الإنسان أينما كان.
الكلمات المفتاحية: الأدب العالمي- الحرية- السلام- الأمان- الإنسان.

ABSTRACT :

The feeling of life in liberty and peace gives a happy sensation to the life of individuals. Nevertheless, this right becomes absent in a world in which moments of safety become rare.

In our study, we will try to expose some modern masterpieces of Universal literature (poetry and prose) which have chanted the fragrance of liberty, Security, peace and calmness. These have delighted and thrilled the soul of man anywhere.

Key words: Universal literature- liberty- peace- Security- man.

Résumé :

La sensation de la vie, en liberté et en paix donne un sentiment de joie à la vie de l'homme. Cependant, ce droit est devenu absent dans un monde où les moments de sécurité deviennent rares.

Dans notre étude, nous allons essayer d'exposer quelque chefs d'œuvre de la littérature universelle (poésie et prose) ayant chanté la fragrance de la liberté, la sécurité, la paix et le calme. L'âme de l'homme où il se trouve est rafraîchi et enchanté.

Mots-Clés : littérature universelle- liberté- paix - sécurité- l'homme.

1. مقدمة:

ما أحلى أن تغمر حياة الإنسان دفقة حرية ونشوة سلام، تشعره بفيض كرامة كونه إنسان. ندرك يقينا أننا نحيا في عالم شحّت لحظات أمانه، إذ أصبحت السيطرة وغياب السلام ضرورة يوازئها حضور الهواء والشراب، فهل أضى غياب الحرية والسلام أمرا طبيعيا؟ أم تراه عطية منحت لأنفاس دون غيرها؟ وهل يكون للحياة متعة في غياب نسائم الحرية والسلام؟

تهدف دراستنا إلى التأكيد على فطرية الحرية والسلام في حياة كل فرد منح الحياة، غير أن عبث الآخر المصاحب بهوس الإنسانية يسعى دوماً لسحقهما.

سنحاول التحليق في سماء الأدب العالمي، حاطين بساط ترحالنا في كل مرة عند محطات إبداعية مختلفة، حفلت جميعها بنسيم الحرية وأريج السلام، التي طربت لها أنفاس البشر في كل مكان، وسيكون ذلك من خلال أعمال أدبية اتحدت زمنياً واختلفت انتماءات مبدعيها، إذ سنعنى بالوقوف عند شحناتها معتمدين بعض الرؤى السيمائية، ولتكن بدايتنا بالأدب اليوناني بعده أساس الآداب الإنسانية.

2. نسائم الحرية والسلام في الأدب العالمي الحديث:

1.2 الأدب اليوناني:

يقصد بالأدب اليوناني الحديث إنتاج القرون الخمسة التي تبدأ من سقوط الدولة البيزنطية عام 1453م إلى يومنا هذا؛ وهو الأدب الذي يرتبط بالحقبة المسماة في تاريخ اليونان بالعصر الحديث. لا يعارض الأدب اليوناني الحديث الأسلوب البيزنطي فحسب، بل هو أيضاً جماع الاتجاهات التي يتأكد بها الفكر واللغة تبعاً لاحتياجات اليونان في احتكاكها بالعالم الحديث أو المعاصر، وقد قُسم هذا الأدب إلى ثلاث مراحل (تشمل تقسيمات فرعية) هي:

1- مرحلة الأدب المحلي: من 1453م-1820م.

2- مرحلة الأدب الأهلي أو القومي: من 1820م-1920م.

3- مرحلة الأدب المعاصر: 1920م⁽¹⁾.

سنعنى في دراستنا بجنس الشعر، إذ يرجع الفضل في إعطاء اليونان باكورة إنتاجها الشعري إلى الشاعر ديونيسيوس سولوموس الملهم بالأدبين اللاتيني والإيطالي، ولأن يونانية الشعب وأغانيه استمالته، فقد عكف على دراسة اللغة الشعبية التي ارتقى بها إلى أعلى الابتكارات الشعرية مرسياً القاعدة التي ستحكم نمو الشعر اليوناني الحديث كله.

لقد آمن سولوموس باتحاد الشكل والمضمون، فالفكرة واللغة برأيه شيء واحد، وعندما تنمو الفكرة وتسمو فإن دائرة اللغة تتسع بوصفها خادمة للفكرة.

ألهم الكفاح اليوناني سولوموس على إنتاج عمله الأول نشيد الحرية عام 1823م، والذي صار فيما بعد النشيد الوطني لليونان، لقد سيق العمل في قالب ملحمي حكى آلام الشعب اليوناني تحت وطأة الاحتلال، وبطولاته في معاركه ضد الطغيان؛ إنه نشيد لا يعرض مشكلة اليونان فحسب، بل مشكلة الإنسان المناضل على عتبة العصر الحديث⁽²⁾.

اقتفى بعض الشعراء آثار سولوموس ورأوها الصواب، وكان كوستي بالاماس واحداً منهم، فقد آمن بأن للشاعر حرّيته، وله أن يعمل بلا برامج تفرض عليه، ودون أن يصغي لغير الصوت النابع من قلبه⁽³⁾.

انتقينا من بين الأشعار اليونانية المعاصرة قصيدة لنابليون لاباثيوتيس (1893م-1943م) وُسّمت بالسعادة، قال فيها:

ثمة ما يمسك بي على الدوام.

ويعود بي إلى الوراء،
إلى الزّمن الذي كان كل شيء،
يهيب بي أن أحياء،
الزّمن الذي كانت فيه أفكار الدّفين، ومخلوقات الوجود، وكل الأشياء،
لا تبعث في ذكريات وجوه،
فقدتها⁽⁴⁾.

تغنى الشّاعر في أبيات قصيدته بماضي اليونان المزهر والسّعيد، ذاك الماضي الآمن الذي لم يستطع نسيانه،
وقد فتح أفقا لغد مشرق سينعم فيه كل يوناني بالسلام والاستقرار، والسّعادة والاطمئنان رغم الظّلمة
المدلّمة. نعم إنّه يهفو لصوت أصيل مألوف يناديه من زمن زاه عتيق:
وها هو ذا الهاتف الأصيل يعود ليطنّي من جديد...

...ولكن مهما كانت الظّلمة مدلهمة

في السّموات،

ومهما أغرى العقل أن يغض الطّرف،

وعجز عن كشف اللّثام،

ومهما أحسّنا بالمرارة

والحرمان، الآن-

فثمّة سعادة تنتظرنا

تنتظرنا ولا شك في مكان ما⁽⁵⁾.

تبدو قصيدة كثيرة التّفاؤل، رأت في ماضي اليونان كل السّعادة والبهجة؛ إنّه بزعم الشّاعر ماضٍ سُدّ فيه
كل اليونان، وكان الزّمن فيه كل شيء، سعادة فطريّة لا يخبو وميضها، ولو فكّر العقل بغيرها فالأمر لا يطول،
إذ سرعان ما يحن الفرد لصوت أصيل يلوذ به لعالم لازوردي حالم مفعم بالفرح الذي يعم عبقه كل مكان
بوجود روح الحرّيّة والسلام.

2.2 الأدب الصّيني:

فكّر الشّعراء وعرضوا بالشّعرومن خلاله قضاياهم الفرديّة المعبّرة عن أنا جماعيّة، فساقوا فيض دقاتهم
الشّعوريّة العاكسة لحالاتهم التّفسيّة الحاملة لآمال وآلام الإنسان حيثما كان.

لن نبّرح أجواء السّعادة والأمان، إذ بمحاذاتها سنرسو على مرفأ السّلام مع الشّاعر الصّيني تشو زيشي من
خلال قصيدته "أين السّلام" التي صدح بها عاليا فتعالت أنفاسه المتناغمة المطالبة بالسّلام والأمل فقال:

أين السّلام؟ أين الأمل

إنّهما في يديك، في يدي، في يديه.

في يدي كل إنسان يملك زمام مصيره!

في أيدي الملايين من المستكشفين الشّجعان!

أين السّلام؟ أين الأمل؟

إنّهما ليسا منحتين، أو هبتين، أو حلمين،

ولكنّهما متعة الحياة، خلق الجمال، وبذر بذور الحب،

والمشاعر الملتهبة التي تصوغ الصداقة والتي تلهم الشّعرا! ⁽⁶⁾

يرى زيشي أنّ السّلام هبة تخص كل فرد يملك زمام مصيره، ففي وجوده تلتهب المشاعر وتُستحضر متعة العيش الهنيء، ويسود الحب فيسكن كل الأفئدة. ويواصل حديثه عن دنيا الأمن والسّلام ليعكس سوداوية الحال في عالم أضحى فيه حضور الحروب وويلاتها مواز للطعام والشراب، فالبشرية التي يؤذيها مشهد احتضار عجوز وافاه أجله هي نفسها التي تتقبّل مآسي الحروب وتذهب إليها مملوءة بالحماس، بل إنّ رجالها وساستها المخطّطون يعدّونها أفضل اللّعب، كيف لا وقد أضحت عندهم ظاهرة طبيعّية كالأكل والشّرب، وانتهأؤها يجلب الحزن كما شعر بذلك تشرشل مع قرب انتهاء الحرب العالميّة الثانية، إذ أحس كأنّه مقبل على الانتحار. ⁽⁷⁾

إنّ غياب السّلام والأمل يقضي على متعة الحياة وجمالها، فطلقات النّار والإرهاب المدسوس هنا وهناك، وامتهان الإنسان لأخيه الإنسان كالحيوان يقضي على إنسانيّته، وفي هذا يقول:

أين السّلام! أين الأمل

إنّهما حيث لا توجد طلقات ناريّة، أو إرهاب، أو مجاعة،

حيث لا يُمتن الإنسان مثل الحيوان،

...

حيث لا يجري المعتدون الأجانب غير مكبوحين! ⁽⁸⁾

يعم السّلام بحسب زيشي كل الأماكن، فهو مطلب شرعي يفترض أن يحظى به كل من قدّرت له الحياة، حتّى الحيوانات والجمادات. ويبدو واضحاً حينه لزمّن الطّفولة السّعيد والمفعم بالبراءة والضّحك العفوي، سلام ينعم به كل طفل في ليلة هادئة في مهده؛ سلام تحقّقه إيقاعات متناغمة لحفلة موسيقيّة، فلما نحرم منه ويُبسط اللّامن. حريّ بأولئك الذين لا يتكبّدون عناء ويلات الحروب، ولا يحسّون بأنّهم المستضعفين أن يضمنوا للبشرية ما يضمن لها بقاءها لا فناءها.

يؤثر زيشي تقديم دعوة صريحة للقضاء على كل ما ينغص على البشرية بقاءها، ويضمن لها استقرارها ويحد من آلامها فيقول:

فليكن هناك المزيد من البحث للقضاء على التلوث والضّوضاء،

والمزيد من المناقشات من أجل السيطرة المبكّرة على السرطان والإيدز،

والمزيد من الفحوص قبل إطلاق الصّواريخ لمنع تكرار المآسي،

والمزيد من الدّراسات لضمان سلامة كل محطة نوويّة! ⁽⁹⁾

وتتواصل دعوة الشّاعر ليطالب بضرورة بسط أكف العدالة والحرية في هذا العالم الذي كبّله الظلم، وفقدت متعة الحياة الآمنة فيه، بل نراه يحذّر فيقول:

لا قنابل نوويّة لا مزيد من الحروب! نحن نريد السّلام! نحن نريد نزع السّلاح! ⁽¹⁰⁾

تبزغ رؤية متفائلة بغد آمن أكثر حرية وسلاما، وإشراقا وعدلا، يعيش فيه الجميع إخوانا بين حنايا دنيا مغمورة بالحب والوئام، المتعة والمشاعر الملهبة المعترفة بالصدّاقة والأخوة الإنسانية الباسطة يديها للآخر مهما كان جنسه، لعل ذلك ما تعكسه الأبيات الآتية:

تعالوا، أيّها الأصدقاء، فلنذهب إلى أرض السّباق في الألعاب الأولمبية!

إلى القارة القطبية الجنوبية لنرفع أعلام فرق المسح العلمي!

إلى القمر والمريخ لننثني محطة إرسال!

إلى الفضاء الخارجي فنلتقي، ونغني ونلقي القصائد مع مخلوقات الكواكب الأخرى!

أوه، إنّ السّلام هنا، إنّ الأمل هنا،

على مركبنا الذي يبحر برايات حريرة ترفرف تحت القمر والنّجوم اللامعة.

فنحن جميعا في السفينة نفسها، نصارع الرّيح والأمواج

لكي نصل إلى الجانب الآخر من البحر الذي يستحم في ضوء الشّمس والذي تدوّي في أرجائه الأغنيات!⁽¹¹⁾

سيحيا الكل في سلام وينعم الجميع بالاستقرار، وترفرف رايات حب الإنسان لأخيه الإنسان، كما سيغني الكل أغنية النّصر ويصلون أخيرا بعد مصارعة الرّيح والأمواج العاتية لبر الأمان.

3.2 الأدب الأفريقي:

تظهر غير بعيد عن هذه الرّخّات الإبداعية الآمنة أشعار أفريقية معاصرة عاكسة لأحلام وأمال وطموحات الإنسان الأفريقي، ومطلبه في الحرية والعيش بأمان، لعلنا نقف عند واحد من عمالقة النّهضة الزّنجية؛ إنّهُ ليو بولد سیدارسنغور (1906م-2001م) الذي عرّف الزّنوجة فقال: "هي مجموع القيم الثّقافية للعالم الأسود، كما تعبّر عن نفسها في الحياة، والمؤسّسات وأعمال السّود"⁽¹²⁾.

مما راق لي من أشعاره قصيدة "المرأة السّوداء" التي قدّم فيها اعترافا صريحا بانتمائه الأصيل للون الأسود، مستعيرا في ذلك لون المرأة الزّنجية؛ إنّها برأيه مثيرة ومغرية، هي من حملته وفي أحضانها شعر بالدّفء، وبوصاياها شب وكبر، فيقول:

أيّتها المرأة العارية! أيّتها المرأة السّوداء!

يا من تسربت بلونها الحي وشكلها الجميل!

لقد ترعرت في كنفك، وتعصّبت

عينا بنعومة يدك.

ها أنا أكتشفك يا أرض الميعاد⁽¹³⁾.

قد يفهم للوهلة الأولى أنّ سنغور يتغلّز بجمال المرأة الزّنجية؛ تلك السّوداء المتسرّبة بلونها الطّبيعي، من تعصّبت عيناه بنعومة يديها، وشعر بالحنان في حضنها الحاني، ومن في الابتعاد عنها يحس قهرا وغربة، لكن هيمات فسنگور يخاتلنا بهذه اللعبة التّقنيّة، فما سوداؤه ومثيرته ومبعث دفته وحنانه غير وطنه أفريقيا، التي تغدو مهمة في ابتعاده عنها وكأنّه لا يعرفها؛ هي برأيه أرض الميعاد؛ أرض الأواخر والأوائل، سوداء سنغور الملتحفة بلونها الحي تركت سحرا رهيبا في صميم فؤاده، وستبقى صامدة رغم قهر الأعداء. نعم ستبقى مثيرة ومسيّلة للّعب ومهيّجة للمشاعر بإبهامها، وفي هذا يقول:

يا فاكهة ناضجة صلبة القشر،
يا نشوة النّبذ الأسود القاتمة!
يا ثغرا يفجر الشّدو من حنجرتي
يا مروج السّافانا ذات الأفق الصّافي

...

يا طبلا منحوتا متمدّدا يزمجر
تحت دقات الأيدي المنتصرة!⁽¹⁴⁾

إنّما مبعث إلهامه، عزّه وفخره، لها غنى ولجميع ثغورها سيظل يشدو، وستلهمه مروج السّافانا ذات الأفق
الصّافي ترانيم العشق الرّوحي، وسيرحل مع صوتها الهامس ليستحضر حنيناً لماض أبدا لا يقاوم. إنّ وميض
حب أفريقيا لا يخبو، قربها يعني حياته وفي أحضانها ينسى آلامه وتذوب مأساه، وفي هذا يقول:

ففي ظلال شعرك، يستدفئ قلبي
من شمس ينضجها بريق عينيك⁽¹⁵⁾

تواصل الأوصاف الحسيّة التي استعارها سنغور وألبسها أفريقيا ذات الكينونة الفعلية والحضور الأبدي؛
إنّما برأيه الأم الرّؤوم، والخصن الدّافئ الذي ينسيه عبث الآخر ولا إنسانيّته؛ هي أفريقيا العارية بحسبه من
كل الحقوق عدا صفتها المهمة ولونها الأسود الذي يعني له كل الحكمة والجمال، مع ذلك يظل موقنا بأنّها
أصالة ماضيه وعز حاضره، من سكنت روحه فأحبّها، وأغرت الطّامعين بثرواتها فاستغلّوها.
يعدّ سنغور أفريقيا العارية والمهمة بأنّه أبدا لن ينسى جمالها العذري الأصيل مهما حاولت أيدي الأعداء
سحقه وطمس هويّتها، فحتّى لو حوّلت لرماد تتغذى منه جذور الحياة ستبقى أفريقيا الشّموخ والعزّة؛ تلك
التي بها يهيم وبالانتساب إليها يفتخر، لعل ذلك ما عكسه قوله:

أيّتها المرأة العارية! أيّتها المرأة السّوداء!

إنّني لأتغنى بجمالك العابر، كما لو

أنّه صورة متجذّرة في الأبدية،

قبل أن يحيلك القدر الغاشم إلى

رماد تتغذى منه جذور الحياة⁽¹⁶⁾

أخصب سنغور بانوراما علاماتيّة أرست معالم ثقافة أفريقيّة خالصة الإيقاع، متشعّبة الرّؤى بفعل التّلاحق
المثمر للشّاعريّة الأفريقيّة المتسرّبة بعقب سحر كلمة الغرب ومعاصرة معانيه.

4.2 الأدب التركي:

لعل ذات الحنين والحب ساقه الكاتب التركي نديم غورسل في قصّته "إستانبول" التي جاءت محمّلة
بذكرياته، شوقه وحنينه لوطنه تركيا الذي ظل ملازماً له. إنّ حضورها في حياته ملازم للهواء والشّراب؛ هي
بزعمه ماض لا يموت، وعلى رغم رحلاته العالميّة لم ينسها.

منحنا غورسل تذكرة سفر مجانيّة رحلت بنا لغور إستانبول العتيق، فبدا قارئاً جيّداً للتّاريخ حين أحالنا
على أسمائها القديمة (ليغوس- بيزنطة- القسطنطينيّة- دار السّعادة- دار الخلافة- دار الدّولة العليّة

العثمانية) فقال: "والقسطنطينية كان اسمك وأول قبة سماء مزدانة في التاريخ تبدو من جبل أولوداغ منقلبة على عقيا مثل هوة سحيفة متعلقة بقمة أيا صوفيا حيث الفسيفساء، وأعمدة الرخام الأخضر الضخمة، والصلبان الذهبية، والشّمعدانات الفضية، تلمع في الضياء الذي يتخلل إلى الدّاخل من خلال النّوافذ المزنة، فيضئ القاعات الواسعة التي يمكنها أن تستوعب كافّة سكّان المدينة، ويضئ الجدران، بل ويضئ حتّى الدّهاليز المعتمة التي لا يعلم عددها إلّا الرّهبان" (17).

وحقّ السكّان الذي أهلوها: "وأهلك الأرناؤوط والبوشناق والرّوم واليهود والأرمن والتّرك والعرب والشّركس والجورجيّون يزدادون مع الجنويّين والبنادقة وتغص بهم أسواقك المسقوفة" (18).

بدت مدينة إستانبول في عديد السيّاقات غريبة على الكاتب، وكأنّه يعرفها لأوّل مرّة رغم قدّم وجودها تاريخيا، ثمّ إنّّه ذكر بالوحوش البشريّة الكاسرة التي احتلّت واستباحّت أراضيها وخيراتها.

لا يزال صدى أسمائها يرّنّ بعمق في أذنيه: إنّّه يعشق كل شيء فيها، مياهها الرّقراقة، أشجارها، غاباتها، حمّاماتها، تماثيل ألّتها البرونزيّة، موانئها، بحارها الواسعة، نشاط وجد أناسها الوقورين، أبهة مدنها وثرواتها. يخاتلنا الأديب ويزيد من شوقنا ليجعلنا نعيش أجواء أكبر الإمبراطوريّات، القسطنطينيّة وأسوارها العصيّة، قصورها وكنائسها، أديرتها وينابيعها المقدّسة. تبدو إستانبول بحسبه فريدة في كل شيء ولا مثيل لها، لقد وُجدت في زمان ليس قبله ولا بعده زمان. يوقفنا حتّى على أسواقها المسقوفة التي يعرف الطّريق إليها حتّى العميان، دليلهم رائحة التّوابل.

يراوده حنين لزهو ماض لا يمكن الانعتاق منه، عاش خلاله أيّاما حلوة بقربها، لقد مرّت أيّام وسنين لم ير أناسها ولم يمش في أزقتها، ولم يعبر ساحاتها ويجلس في مقاهي شواطئها، مع ذلك فإنّها معه، بل محفور حبّها في شغاف قلبه، إنّّه يتوق لرؤيتها: "إنّك الآن في مكان يستطيع الوصول إليه كل من يملك ألفي فرنكا، وقليلًا من الوقت. وحدي أنا لا أستطيع الوصول إليك، إلى بحرك، ولا أستطيع ملازمة مياه خليجك الوسخة المتعكّرة، ولا مداعبة قبابك وماذنك وأبراجك. كم سنة مرت... ولم أجلس على مقاهي شواطئك، ولم أمسح وجهي بجدرانك المشحّرة، وبأسوارك المتهدّمة، ولم أتسلّق تلالك وأبراجك. كم سنة مرت لم أسترح فيها تحت أفياء أشجار دليك!" (19).

يبدو أنّ حنينه لإستانبول لا يكفيّه مداد أبحر الدّنيا لترجمته، لذلك يستكين للقول: "شيئان فقط لا يمكن نسيانها إلّا بالموت: وجه أمّنا ووجه مدينتنا" (20).

إنّه لا يقوى على نسيانها فهي حب حياته، ومن تشعّره بحقيقة وجوده. بل بزعمه ستولد من جديد من رفاتة.

5.2 الأدب الهندي:

تلوح في الأفق غير بعيد عن هذه النّسمات رؤية روحية، مطمئنّة وحاملة لنفّس واحد من أروع ما أنجبت الهند إبداعيا، اسم وجد في السّلام والأمان، والعيش في ظل الحرّية سبيلا يرتقي به لأعلى المقامات؛ إنّّه طاغور (1861م-1941م) الذي أحبّ الفنون على أنواعها، فنظم الأناشيد، وغنّى بصوته فهزّ شعور النّاس وردّدوا بعده، أحبّ المسرح وألّف الزّوايات ومثّل فيها. عمل على إحياء الفنون الهندية عامّة (رقص-موسيقى-رسم-نحت) وأوجد لها فروعا في جامعتة، نال جائزة نوبل للآداب (1913م) على مؤلّفه قربان الأغاني، وهو أوّل أسوي نالها (21).

قال طاغور لما سئل عن رسومه: "كم مرة سئلت عمّا تعني رسومي، فظللت صامتاً مثلها: إنّها تعبير، لا شرح، إنّها لا تخفي شيئاً وراء ظاهرها نفسه، لنبحث فيها عن فكر أو نصفها بكلام"⁽²²⁾. تشعبت الأغراض التي كتب فيها، فنثرا حوت القصص والمقالات والرسائل ذات الفكر الغزير والكلام الحكيم، وأمّا أشعاره فارتقت بمن قرأوها إلى عوالم الجمال الأخاذ ودنيا الفكر العميق والكلم الرزين. نجد طاغور في مؤلفاته على اختلاف ضروبها "لا يجتر الخاطر، لا يستقصي ولا يستنفذ، بل يدع مجالات للتفهّم، والتأمل، والغوص البعيد، لا إسراف في الوضوح، ولا إسراف في الغموض، بل تلاؤم بينهما سوي يفهمه ذووه، والفن لمن يستسيغ"⁽²³⁾.

انتقينا من ديوانه جنى الثمار الصّادر عام 1916م المقطع المعنون بسلسلة حلالي، والذي جاء فيه:

لا تزينني إلّا لتسخر منّي، سلسلة حلالي هذه.
تُسخن عنقي بالجراح، حين تطوّقه، وتشد عليه الخناق، حين أحاول نزعها.
إنّما تتشبّث بنحري، وتخنق في حلقي الغناء.
أود، يا رب، وضعها مقدمة في يديك، أود أن أرتاح.
خذها منّي، وبدلاً منها اربطني إليك بإكليل من زهر: أنا أخجل من المثلث أمامك
وفي عنقي سلسلة حلالي هذه⁽²⁴⁾.

يرحل بنا طاغور بعيداً، فيفسح لنا المجال واسعاً للتأمل العميق؛ إنّه يحيلنا لغموض لا إسراف فيه؛ غموض لا تعقده صياغة بل يدلّنا على فكر حافل بالظلال والخيال. يخوض طاغور نضالاً قد يبدو مخالفاً لذلك الذي تغنى به سولوموس، أو بالآخر الذي طربت به أنفاس زيشي؛ إنّه يرنو لعالم روحي حالم يستشعر فيه نشوة هذيان روحي آمن لا يتعكّر صفوه، كما يحن لحبيب يهفو قلبه للقاء دان به، أين ستغمّر روحه سعادة فينتشي حلالة أمان وهدوء لذّة لا تنسى. تعكس أبياته صدى حب إلهي سعيد، وعشق متيمّ مطمئنّة روحه، مادام دنوّه للحبيب مستمر؛ إنّه يحمل صورة مسافر إلى ربّه ويرى في قربه والسعي إليه كل الراحة والسعادة. لقد استنار بدرب السّلام الذي سيوصله بحريّة لباب المعشوق، ذاك الذي يرضى طاغور تقديم أجود ثمار حياته وأينعها قربانا وإكراماً لحبّه.

يجد طاغور سعادته في الانعتاق من سطوة المادّة، فشعوره بالأمان والسّلام في ظل الحرية الروحية يساعده على خلق معادل موضوعي يبعث على نفسه الراحة، ويشعر روحه بسكينة يأمل الحفاظ عليها مادام حيا. فبوجود السّلام والأمان سمت روحه الحرّة لأعلى المقامات واستشعر سعادة فطريّة لا تقاوم.

ترنو البشريّة للتحرّر من ربكة الغير وقهره، فقد سلبها حرّيتها وسلامها. نعم بإرادة تذيب الجليد ستبزع شمس غد أكثر إشراقاً وعدلاً باسطة مع أوّل سبط من أشعّتها الماسيّة أكف الحرية والسّلام على كل من صدح عالياً فملاً صوته أرجاء الأفق الرّحب، وانعكس صدهاء فقال نعم لعيش حرواًمن، " إنّ طريق البشريّة إلى الحق طويل، وإلى السّلم أطول، ومع ذلك فإنّها ستصل، ورغم الدّموع والآلام ستصل إلى يوم يزول فيه العدوان عن وجه الأرض، وتشرق شمس السّلام والعدالة على الجميع"⁽²⁵⁾.

نأمل في العيش في عالم تحقّقه لازوردية الحرية والسلام، ويزول فيه كل ما ينغص على البشرية أمنها واستقرارها، نعم نرغب في أن يعم السلام والحرية كل شبر تنبض فيه أنفاس بشرية.

3. خاتمة:

كانت هذه فسحة ساقتنا طوعا لدنيا الحرية والسلام من خلال نسمات عم عبق أريجها وفاح من مختلف الآداب الإنسانية، لتوقفنا أخيرا على روعة أن يحيا الإنسان في اطمئنان واستقرار، وأن يمد بكل سعادة يد العون لأخيه الإنسان، أين تتوحد الأنفاس معلنة عن صرح من الحب البشري المتجدد الزوافد. فهل تراها رؤيا تتحقّق وحلم يتجسّد؟

4. قائمة المراجع:

1. إبراهيم أبو خزام، الحروب وتوازن القوى (دراسة شاملة لنظرية توازن القوى وعلاقتها الجدلية بالحرب والسلام)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط2، 2009م، ص16.
2. أحمد شفيق الخطيب، ألوان من الأدب في الشرق والغرب، دار النشر للجامعات، مصر، ط1، 2006م، ص166.
3. حنا مينه، المرصد، ط2، دار الآداب، بيروت، 1983م.
4. حسن غرني، في الشعر الأفريقي المعاصر (جيل الرواد نموذجا)، مجلة دبي الثقافية، الإمارات العربية المتحدة، الإصدار 57، ط1، 2012م، ص18.
5. نديم غورسل، حبيبي إستانبول، ترجمة: فاروق مصطفى، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، عن الطبعة التركية 3، 2009م، ص10.
6. نعيم عطية، الشعر اليوناني المعاصر، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر (دار الكاتب العربي)، مصر، د ط، 1970م، ص4-6.
7. يوحنا قمير، طاغور مسرح وشعر، د ط، دار المشرق، بيروت، 1967م، ص23.
5. الهوامش:
1. نعيم عطية، الشعر اليوناني المعاصر، د ط، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر (دار الكاتب العربي)، مصر، 1970م، ص4-6.
2. المرجع نفسه، ص17-18.
3. نفسه، ص29.
4. نفسه، ص70-71.
5. نفسه، ص72.
6. أحمد شفيق الخطيب، ألوان من الأدب في الشرق والغرب، ط1، دار النشر للجامعات، مصر، 2006م، ص166.
7. إبراهيم أبو خزام، الحروب وتوازن القوى (دراسة شاملة لنظرية توازن القوى وعلاقتها الجدلية بالحرب والسلام)، ط2، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، 2009م، ص16.
8. أحمد شفيق الخطيب، ألوان من الأدب في الشرق والغرب، ص166.
9. المرجع نفسه، ص167.
10. نفسه، ص168.
11. نفسه، ص168-169.
12. حسن غرني، في الشعر الأفريقي المعاصر (جيل الرواد نموذجا)، ط1، مجلة دبي الثقافية، الإمارات العربية المتحدة، الإصدار 57، 2012م، ص18.

13. المرجع نفسه، ص46.
14. نفسه، ص46.
15. نفسه، ص47.
16. نفسه، ص47.
17. نديم غورسل، حبيبتي إستانبول، ترجمة: فاروق مصطفى، عن الطبعة التركيّة 3، الهيئة العامّة السوريّة للكتاب، دمشق، 2009م، ص10.
18. المرجع نفسه، ص11.
19. نفسه، ص13.
20. نفسه، ص14.
21. طاغور مسرح وشعر، ترجمة: يوحنا قمير، د ط، دارالمشرق، بيروت، 1967م، ص23.
22. المرجع نفسه، ص25.
23. نفسه، ص34.
24. نفسه، ص209.
25. حنا مينه، المرصد، ط2، دارالآداب، بيروت، 1983م، ص294.